بالعربي

سميرة رجب

صور من الواقع -١

مع بداية فترة الصيف والإجازات السنوية، يبدأ الكلام عن السفر للترفيه والسياحة، للخروج من نمط وروتين العمل اليومي... ويكثر الحديث عن ارتفاع أسعار تذاكر السفر والطيران، وارتفاع أسعار الشقق والفنادق في كل أنحاء العالم، وارتفاع أسعار الأكل والمطاعم والأسواق في هذا البلد أو ذاك... إلخ، مما يعطي مؤشرات واضحة عما تمثله تلك الأسفار والرحلات من عبء كبير على ميزانيات الغالبية العظمى من المواطنين، سواء من ذوي الدخل المحدود أو الأعلى... ولكن، ورغم ذلك، لا تمنعهم كل تلك الأسباب عن السفر إلى مختلف بقاع العالم، وعن تحمّل كل تلك الأعباء المالية التي يمكن توفيرها لأغراض أكثر أهمية ونفعاً... وفي النهاية لا نعلم بالضبط ماذا يحققون من خلال تلك الأسفار السنوية التي غالباً ما تبدأ وتنتهي في زيارة الأسواق لشراء مواد استهلاكية يمكن الحصول عليها من أسواقنا المحلية وبأسعار متفاوتة.

يا ترى هل السفر إلى خارج حدود البلد سنوياً أو موسمياً، لقضاء الإجازة الصيفية أو أية إجازة أخرى، يعد ضرورة ملحة وفرض واجب... أم هو سلوك استهلاكي تعلمناه، كباقي السلوكيات الخاطئة التي تعلمناها، مع الطفرة النفطية، والوفرة الإقتصادية، واستمرأنا الاستمرار في ممارستها رغم انتهاء تلك الطفرة وتلك الوفرة التي لم تستمر أكثر من سنوات معدودات، بل وانتهت بانتكاسات وأزمات اقتصادية لعدم جدارتنا في استغلالها لصالحنا...؟

نعم، تمارس الغالبية العظمى من شعب الخليج هذا السلوك وغيره من سلوكيات الشراهة الاستهلاكية، بشكل لا تمارسه حتى شعوب الدول الأكثر تقدماً وثراء في العالم، ودون أن نحاول معرفة منافعها أو مضارها... ومن دون شعوب العالم، لا يملك هذا الشعب، المفاهيم المعرفية في احتساب آثار تلك الممارسات الاستهلاكية وتأثيراتها الجائرة على ميزانية الفرد وميزانية الوطن ومستقبل الأجيال... ذلك الإنهاك الذي يجعل الفرد والوطن مقصرين وعاجزين عن تحقيق أهداف إستراتيجية أكثر أهمية من الإشباع الاستهلاكي الرخيص وقصير المدى.

أما الجانب الآخر من القضية، فيتمثل في تساؤل كبير حول الفوائد التي يكتسبها هذا الشعب من تلك الأسفار والرحلات المتكررة والمكلفة، في رفع مستواه المعرفي والإدراكي والمعيشي... بدءاً من الانفتاح على الثقافات الأخرى، والتعرف على عادات واهتمامات الشعوب، وتاريخ الأمم وقصصها من خلال متاحفها ومكتباتها وفنونها وآدابها... وإنتهاء بالبحث عن أسباب تقدم تلك الأمم وتخلفنا... ومروراً بمدى اكتساب شعبنا الخليجي لمفهوم التعايش مع الشعوب الأخرى وثقافاتها، وتأثير هذا المفهوم في الثقافة الخليجية المتعالية على الشعوب الأخرى، والتي لا ترى إلا الجانب السلبي والسطحي في تلك المجتمعات دون التعمق في الجوانب الإيجابية التي تدفع تلك الأمم إلى التقدم والتطور بينما نخسر نحن مواردنا الاقتصادية ومكتسباتنا الثقافية الإيجابية، مع مرور الزمن، دون أن نحقق لأنفسنا مرتكزات أساسية نبني عليها المستقبل الاقتصادي والثقافي والمعرفي الذي نتمناه لأجيالنا القادمة.

من أرض الواقع، ولكن بدون التعميم، يمكننا الإجابة على هذه التساؤلات سلباً، للأسف الشديد... حيث لا تستفيد الغالبية الخليجية من هذه الرحلات، إلى مختلف بقاع العالم، سوى في إشباع جوعها الاستهلاكي...

يا ترى ، ألسنا بحاجة إلى الحوار مع أنفسنا حول هذه الممارسات؟!... وألسنا بحاجة إلى تغيير نمط الحياة الاجتماعية التي تعيشها مجتمعاتنا لنتمكن من ابتكار واستغلال سبل الترفيه المحلية لقضاء إجازاتنا على أرض الوطن، وبالتالي توفير مواردنا؟؟...

sameera@binrajab.com